« شرم الشيخ بدون صلح خير من صلح بدون شرم الشيخ » وشعارات زعماء حيروت حول « ارض اسرائيل الكاملة » ورافق هذه الشعارات انتشار اساطير كاذبة عن القدرات الخارقة للجيش الاسرائيلي في مقابل العجز المطلق على الجانب العربي .

ولقد خلقت هذه الامور مجتمعة جوا عاما في اسرائيل يعارض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وزادت من قوة وتاثير اليمين المتطرف في اسرائيل وسارت بالمجتمع الاسرائيلي نحو اليمينية والشوفينية والتطرف، التي يمكن ملاحظتها بوضوح — على سبيل المثال — عبر اشارتين :

١ — قبول الرأي العام الاسرائيلي — بشكل عام — لانسحاب كتلة غاحال اليمينية المتطرفة من حكومة « التكتل الوطني » احتجاجا على اتخاذ الاغلبية في الحكومة في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ قرارا بقبول مشروع روجرز الذي انهى حرب الاستنزاف .

٢ — تحرك حزب العمل الحاكم نحو اليمينية ، كما ظهر ذلك جليا في ازدياد وزن دايان وكتلته داخله ، وعبر ما يعرف في اسرائيل بـ « الاتفاق غير المكتوب » الذي يتضمن مبدأ « الضم الزاحف ببطء » ، وكذلك عبر « وثيقة غالبلي » التي اتخذتها سكرتارية الحزب عشية حرب اكتوبر . (انظر حول هاتين النقطتين في مكان اخر من هذا العدد) .

وهذه السياسة الاسرائيلية المستهترة بالعرب وقدراتهم وحقوقهم ، قادت الى استهتار اسرائيل بالرأي العام العالمي وبالعديد من دول العالم والامم المتحدة وقراراتها ، وادت الى وضع أصبحت فيه اسرائيل معزولة ، او شبه معزولة ، وأصبح « لاسرائيل صديق وحيد هو الولايات المتحدة الاميركية ، وحليف وحيد هو الشعب اليهودي في الشتات » كما قال ذلك الجنرال اسحق رابين ، سفير اسرائيل السابق في واشنطن ، في مقابلة نشرتها جريدة على همشمار يوم ٧٣/١١/١٦ .

ومنذ أن بدأت تتضح للاسرائيليين نتائج الحرب ، عم اسرائيل جو كثيف من الجدل على جميع الاصعدة من عسكرية وسياسية . ولئن كانت اولى علامات عنف الجدل وخطورة الاتهامات قد بدأت بالظهور في الاسبوع الاول بعد وقف اطلاق النار ، لدى استقالة الوزير شابيرا احتجاجا على عدم استقالة دايان او اقالته ، فان شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، كان « شهر الجدل وتبادل الاتهامات » التي لم يسلم منها احد على الاطلاق في اسرائيل ، حيث بلغت حدة وشمول الاتهامات بين الزعامة السياسية في الائتلاف والمعارضة ، وقيادة الجيش الميدانية وقيادته على صعيد التخطيط والاعداد والاستخبارات حد اتهام المجتمع الاسرائيلي وكل فرد في اسرائيل ، في عملية تعذيب للنفس ورفض لكل ما كان قائما قبل الحرب ، وفي ما أسماه ناثان دونفيتش في هآرتس يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ « هجمة المازوشية » .

فكيف بدأ الجدل ؟ وكيف تطور ؟ والى اين وصل حتى الان ؟

حاولت غولدا مئير ، بداية ، امتصاص نقمة الاسرائيليين باعتمادها خطين ، اولهما التأكيد على ان جميع التطورات التي سبقت الحرب والتطورات اثناء سير المعارك هي قيد الدرس لاستخلاص العبر ، وثانيهما التأكيد على ان مسؤولية الوزراء هي مسؤولية جماعية ومردود تصرف أي وزير يعود على الحكومة مجتمعة .

لكن ، ومع رفض العديد من الاسرائيليين لهذا الاتجاه (معاريف ٧٣/١١/٢) بدأت محاولة ايقاف الجدل ومحاربة موجة الاشاعات العارمة حول « التخاذلات والتقصير » وتصرفات العديد من المسؤولين . وقاد هذه الحملة بعض من قادة حزب العمل الحاكم ، وكان ابرزهم أهرون يدلين سكرتير حزب العمل الذي قال في ندوة اذاعية شاركه فيها الدكتور اليميلخ ريملط رئيس ادارة حزب الاحرار (الذي يشكل مع حركة حيروت كتلة غاحال ، ومع غيرها من الاحزاب اليمينية ما يعرف باسم « التكتل ») انه يجب ايقاف الجدل والنقاش حول تهم التقصير والاخفاق عشية حرب ٦ اكتوبر « ذلك لانه اذا كان الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١١/٢) ، ورد ريملط على ذلك معارضا ومؤكدا انه « اذا كان هذا الموضوع يقع على عاتق ومسؤولية القيادة السياسية ، فسوف يكون موضوعا منطقيا للحملة الانتخابية » .

ولم يكن اليمين المتطرف وحده هو صاحب الذراع الطويلة في طرح هذا الموضوع للجدل وادارة النقاش حوله ، بل ان الاحزاب الاقل يمينية ، او